كتاب القدر

من ذم الخوض في القدر

٢١٦ ـ عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: هَجَّرْتُ إلى رسولِ الله ﷺ يوماً، فسَمِع أصواتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفا في آيَةٍ، فَخرجَ علينا رسولُ الله ﷺ يُعْرَفُ في وَجْهِهِ الغَضَبُ، فقال: «**إنَّمَا هَلَكَ مَن كانَ قبلكم باخْتِلافِهم في هذا الكتابِ**».

[رواه أحمد (١٩٢/٢)، ومسلم في أول كتاب العلم من صحيحه].

ش: «**هجرت**»: أي جئت مبكراً. «**اختلفا في آية**»: وكان ذلك في القدر كما جاء في رواية مبينة من طريق آخر عنه قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما يفقؤ في وجهه حب الرمان من الغضب، فقال: «**بهذا أمرتم، أو لهذا خلقتم، تضربون القرآن بعضه ببعضه، بهذا هلكت الأمم قبلكم**». رواه أحمد (١٩٥/١، ١٩٦)، وابن ماجه في المقدمة رقم (٨٥) بسند صحيح. وفي الحديث ذم الخوض في القدر، والخصام فيه. وأن ذلك يوجب الهلاك عياذاً بالله. لأن النزاع في ذلك يفضي إلى رد الأدلة، وعدم قبولها وقد يكون الحق حليف الخصم، فيؤدي ذلك إلى تكذيب القرآن، يضاف إلى ذلك ما ينشأ عن الجدال من الأحقاد، والأضغان، والهجران، وما تجر إليه من الفتن.

٢١٧ ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: جَاء مُشْرِكو قريشٍ

الموضوع	الصفحة
تغرب الإيمان والإسلام وفضل الإيمان بالغيب	١٣٤
الوسوسة ودواؤها	١٣٨
كتاب القدر	١٤١
من ذم الخوض في القدر	١٤١
ذم القدرية ووعيدهم ومجانبتهم	١٤٢
وجوب الإيمان بالقدر وأن كل شيء بقدر الله عزّ وجلّ	١٤٤
القدر والدعاء	١٤٩
الهدى والضلال بقدر الله	١٤٩
العمل مع القدر	١٥٠
الأعمال بالخواتم	١٥٢
القدر عند الخلقة في الرحم	١٥٣
محاجة آدم وموسى	١٥٦
حكم الأطفال	١٥٩
خاتمة	١٦٠
كتاب الطهارة أبواب المياه	١٦٢
ماء زمزم	١٦٢
ماء البحر	١٦٣
ماء الآبار	١٦٣
ماء الفلاة ترده السباع والدواب	١٦٤
الماء الدائم الذي لا يجري	١٦٥
النهي عن التطهر بالماء المستعمل	١٦٥
صحة التطهر بالماء المستعمل	١٦٦
الماء الذي خالطه طاهر ولم يغيره	١٦٧
خاتمة	١٦٧
أبواب الطاهر والنجس وما يتبع ذلك	١٦٨
النجس	١٧٦
خاتمة	١٧٩
إزالة النجاسة بغير غسل	١٨١
الآنية	١٨٣

كتاب القدر

من ذم الخوض في القدر

٢١٦ ـ عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: هَجَّرْتُ إلى رسولِ الله ﷺ يوماً، فسَمِع أصواتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفا في آيَةٍ، فَخرجَ علينا رسولُ الله ﷺ يُعْرَفُ في وَجْهِهِ الغَضَبُ، فقال: «**إنَّمَا هَلَكَ مَن كانَ قبلكم باخْتِلافِهم في هذا الكتابِ**».

[رواه أحمد (١٩٢/٢)، ومسلم في أول كتاب العلم من صحيحه].

ش: «**هجرت**»: أي جئت مبكراً. «**اختلفا في آية**»: وكان ذلك في القدر كما جاء في رواية مبينة من طريق آخر عنه قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما يفقؤ في وجهه حب الرمان من الغضب، فقال: «**بهذا أمرتم، أو لهذا خلقتم، تضربون القرآن بعضه ببعضه، بهذا هلكت الأمم قبلكم**». رواه أحمد (١٩٥/١، ١٩٦)، وابن ماجه في المقدمة رقم (٨٥) بسند صحيح. وفي الحديث ذم الخوض في القدر، والخصام فيه. وأن ذلك يوجب الهلاك عياذاً بالله. لأن النزاع في ذلك يفضي إلى رد الأدلة، وعدم قبولها وقد يكون الحق حليف الخصم، فيؤدي ذلك إلى تكذيب القرآن، يضاف إلى ذلك ما ينشأ عن الجدال من الأحقاد، والأضغان، والهجران، وما تجر إليه من الفتن.

٢١٧ ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: جَاء مُشْرِكو قريشٍ

إلى رسولِ الله ﷺ يُخاصِمُون في القَدَر، فنزلت هذه الآية: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر].

[رواه مسلم (١٦/٢٠٤، ٢٠٥)، والترمذي كلاهما في القدر. ورواه الترمذي في التفسير. وابن ماجه في المقدمة (٨٣)، وحسنه الترمذي وصححه].

ش: «يخاصمون»: أي ينازعون رسول الله ﷺ ويجادلونه. **«في القَدَر»** هو بفتح الدال عبارة عن كل ما كتبه الله تعالى وسبق به علمه، وتعلقت به قدرته ومشيئته من خير وشر، وعلم الله أنه سيقع في أوقات معلومة، وعلى أوصاف مخصوصة. ومنكرو هذا المعنى هم القدرية الوارد فيهم ما ورد من الذم والوعيد. والحديث مع كونه يدل على ذم الخوض في القدر هو يدل على أن الله تعالى قدر كل شيء، كما تشير إلى ذلك الآية الكريمة وسيأتي ما يدل لذلك من الأحاديث.

هذا والجدير بالذكر هو أن القدر سر من أسرار الله تعالى لا يجوز فيه البحث بالتدقيق والتعقل في شؤونه، فإنك كلما ازددت بحثاً فيه ازددت حيرة وإشكالاً. ولذلك جاء في حديث لابن مسعود عن النبي ﷺ: **«إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا»**. رواه الطبراني في «الكبير»، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/١٠٨)، وفيه ضعف، وحسنه العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» والحافظ في «الفتح». وله شاهد عن عطاء مرسلاً بسند صحيح رواه عبدالرزاق في «الأمالي» فيتقوى به.

ذم القدرية ووعيدهم ومجانبتهم

٢١٨ ـ عن نافع أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما جاءه رجل فقال: إنَّ فُلاناً يَقْرأ عليكَ السلامَ فقال: إنَّهُ بَلَغَنِي أنَّهُ قَدْ أحْدَثَ، فإن كان أحْدثَ فلا تُقْرِئْه مِنِّي السلامَ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«في هَذِهِ الأمَّةِ، أو فِي أُمَّتِي خَسْفٌ، أوْ مَسْخٌ، أوْ قَذْفٌ، في أهْلِ القَدَرِ»**.

[رواه أحمد (٢/٩٠)، والترمذي في القدر ١٩٨٦، بتهذيبي وابن ماجه في الفتن

(٤٠٦١) بسند صحيح. وحسنه الترمذي وصححه. ورواه أحمد أيضاً (٢/٢٠)، ومن طريقه أبو داود في السنة (٤٦١٣)، وفي آخره: «**سَيَكُونُ في أمتي أقوامٌ يُكَذِّبُونَ بالقَدَر**». وسنده صحيح، ورواه الحاكم من طريقين (١/٨٤) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي. ورواه أيضاً أحمد (٢/١٣٦، ١٣٧) بنحوه وفيه: «**وهو في الزَّنْدِيقِيَّةِ والقَدَرِيَّةِ**» وسنده صحيح].

ش: «**خسف**»: هو غيبوبة المكان في الأرض. وقد حصل هذا مرات... وخاصة في العصور المتأخرة. وذلك لكثرة من وجد من الزنادقة، وانتشار المذاهب الهدامة، وشيوع البدع الضالة. وقد جاء في صحيح مسلم في أشراط الساعة... «**وثلاث خسوفات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب**». وقد تكرر ذكره في الأحاديث وقد يطلق الخسف على ذهاب نور الوجوه، وانقلابها مظلمة، وهذا أيضاً حاصل بكثرة، نتيجة الفجور والانحراف. «**مسخ**»: هو في الأصل يطلق على معان. ومنه تحويل صورة إلى أخرى أقبح. والمراد به هنا إما تغيير البواطن، وتحويلها من عقائد صحيحة سليمة، إلى عقائد باطلة منحرفة. وإما تغيير مظاهرهم من مظاهر إسلامية، إلى مظاهر إفرنجية كافرة. والحديث أوسع من كل ذلك. «**قذف**»: هو في الأصل: الرمي. وهو هنا يحتمل الرمي بالحجارة عذاباً من الله كما حصل لقوم لوط. ويحتمل أن يراد به القذف بالقنابل، والصواريخ بواسطة الدبابات، والطائرات القاذفات، والأسطولات، والزوارق الحربية وغيرها، وهو من أفظع أنواع العذاب الذي أرسله الله تعالى على أبناء هذا الجيل عياذاً بالله تعالى، والحديث يدل على أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان يرى مقاطعة المبتدعة في الدين بدعاً تخالف صريح القرآن والسنة، ولذلك أدلة كثيرة تأتي في محلها إن شاء الله تعالى.

٢١٩ ـ وعن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**القَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ، إنْ مَرِضُوا فَلا تعُودُوهم، وإنْ مَاتُوا فَلا تَشْهَدُوهُمْ**».

[رواه أبو داود في السنة (٤٦٩١) بسند صحيح مع انقطاع فيه. ورواه الحاكم

(٨٥/١) وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي. ورواه أحمد (٨٦/٢)، والبخاري في «التاريخ» (٣٤١/٢) من طريق آخر وفي سنده ضعف. وله شاهد عن حذيفة رواه أبو داود في السنة (٤٦٩٢) بسند ضعيف وآخر عن عمر رواه ابن حبان رقم (١٨٢٥) بالموارد وسنده ضعيف أيضاً. فالحديث حسن أو صحيح. وقد حسنه العلائي، وصححه الحاكم، وابن القطان، والذهبي، وآخرون].

ش: «القدرية»: هم طائفة من أهل البدع كانوا ينفون القدر، ولا يقولون بأسبقية الأشياء في الأزل وكتابتها في اللوح المحفوظ. وكانت لهم آراء وعقائد متطرفة، تجدها في كتب الملل والنحل.. **«مجوس»**: وصفهم بالمجوسية لأنهم نسبوا الخير إلى الله، والشر إلى الشيطان والنفس كالمجوس في قولهم: إن الخير من النور، والشر من الظلمة. وكلا العقيدتين شرك. والعقيدة السليمة الصحيحة هي: أن الكل من الله تعالى فلا خالق في هذا الوجود معه، ولا مؤثر سواه.

وجوب الإيمان بالقدر
وأن كل شيء بقدر الله عزّ وجلّ

٢٢٠ ـ عن عبدالواحد بن سليم رحمه الله تعالى قال: قدمت مكة المكرمة فلقيت عطاء بن أبي رباح، فقلت: يا أبا محمد إن أهل البصرة يقولون في القدر، قال: يا بني أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: فاقرأ الزخرف، قال: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾، قال: أتدري ما أم الكتاب؟ فقلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه كتاب كتبه الله قبل أن يخلق السماء وقبل أن يخلق الأرض فيه إن فرعون من أهل النار، وفيه: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١﴾. قال عطاء: فلقيت الوليد بن عبادة بن الصامت صاحب رسول الله ﷺ فسألته ما كانت وصية أبيك عند الموت؟ قال: دعاني فقال: يا بني اتق الله واعلم أنك لن تتقي الله حتى تؤمن بالله، وتؤمن بالقدر كله، خيره، وشره. فإن مت على غير هذا دخلت

النار. إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنَّ أوَّلَ ما خَلَقَ اللَّهُ القَلَمَ، فقال: اكْتُبْ، قَالَ: مَا اكْتُبُ؟ قالَ: أُكْتُبْ القَدَر مَا كَانَ وما هُوَ كَائِنٌ إلى الأَبَدِ»**.

[رواه أحمد (٣١٧/٥)، وأبو داود في السنة رقم (٤٧٠٠)، والترمذي في القدر (١٩٨٦). وحسنه وصححه، ورواه الحاكم (٤٩٨/٢) من حديث ابن عباس وصححه ووافقه الذهبي].

ش: والحديث يدل على وجوب الإيمان بالقدر كله إيماناً وكفراً، وطاعة ومعصية، وكل ما يقع في هذه الكائنات، وأن كل ذلك مكتوب في أم الكتاب، وأن كل من لم يعتقد ذلك كان من أهل النار. وظاهره أن القلم هو أول ما خلق الله تعالى وفي ذلك نزاع.

٢٢١ ـ وعن ابن الديلمي رحمه الله تعالى قال: أتيت أُبيّ بن كعب فقلت له: قد وقع في نفسي شيء من القدر، فحدثني لعل الله أن يذهبه من قلبي. فقال: **«لَوْ أَنَّ اللَّهَ تعالى عذَّبَ أهلَ سمواتِه وأهل أرضِه عذَّبَهم وهو غيرُ ظالم لهُم، ولو رَحِمَهُم كَانَتْ رَحْمَتُه خيراً لهم مِن أعْمَالِهم، ولو أنفقتَ مِثلَ أُحُدٍ ذهباً في سبيلِ الله ما قَبِلَه الله مِنك حتى تُؤمِن بالقَدَرِ، وتَعْلَمَ أن مَا أصَابَك لم يَكن لِيُخطِئَك، وأن ما أخْطَأَكَ لم يكن ليُصِيبَكَ، ولو مُتَّ على غيرِ هذا لدخلتَ النار»**. قال: ثم أتيت عبدالله بن مسعود فقال مثل ذلك. ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك، ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك.

[رواه أحمد (١٨٢/٥، ١٨٣)، وأبو داود في السنة رقم (٤٦٩٩)، وابن حبان (١٨١٧) بالموارد].

ش: **«عذبهم وهو غير ظالم.. إلخ»**: وذلك لأن الجميع ملكه له التصرف الكامل فيه كيف يشاء، لا يسأل عما يفعل. **«كانت رحمته»**: لأن رحمته ليست بسبب ما من الأعمال، بل هي محض فضل منه والأعمال الصالحة نفسها من رحمته، بل دخول الجنة كذلك برحمته. **«ما أصابك»**: يعني ما قدر الله لك أو عليك من نعمة وبلاء، وطاعة ومعصية لم يكن ليخطئك ويجاوزك بل لا بد وأن يقع. **«وأن ما أخطأك»**: يعني من الخير والشر ولم ينزل بك لم يكن ليشملك ويصيبك أبداً، لأنه لم يقدر عليك.

وهذا حديث عظيم في باب القدر، فمن تحقق بما فيه استراح من عناء هذه الحياة، ومتاعب الخواطر النفسانية والشيطانية.

٢٢٢ ـ وعن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: سمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الخَلائِقِ قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ السمواتِ والأرضَ بِخَمْسِينَ ألفَ سَنَةٍ**، قال: **وعَرْشُهُ على المَاءِ**».

[رواه أحمد (١٦٩/٢)، ومسلم (٢٠٣/١٦)، والترمذي كلاهما (١٩٨٧) في القدر].

ش: «كتب الله»: هذا نص في أن الله تعالى قدر كل شيء وكتب كل شؤون الخلائق، إنسيهم وجنيهم ووحشيهم، وطيرهم، وهوامهم.. **«وعرشه.. إلخ»**: استدل بهذا من قال: أن خلق العرش سابق على القلم. وهذا قول الجمهور كما حكاه ابن كثير في «البداية والنهاية». والحافظ في «الفتح». ويؤيده حديث عمران بن حصين في فضل أهل اليمن. وقولهم للنبي ﷺ جئنا نسألك عن هذا الأمر، قال: «**كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء...**» رواه البخاري وغيره ويأتي في بدء الخلق.

فالحديث دال على أن الله عزّ وجلّ لم يكن معه غيره ثم خلق الماء، ثم العرش، وجعله على الماء ثم خلق القلم إلخ، فهذا هو الظاهر. وذهب آخرون إلى أن القلم خلق أولاً.

٢٢٣ ـ وعن طاوس رحمه الله تعالى قال: أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: «**كُلُّ شَيءٍ بقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجزُ والكَيْسُ**، أو: **الكَيس والعجز**».

[رواه أحمد (١١٠/٢)، ومالك (٢٤٦/٤)، ومسلم في القدر (٢٠٤/١٦)].

ش: «العجز»: هو عدم القدرة على الشيء. أو ترك ما يجب فعله، وتأخيره عن وقته. **«والكيس»** بسكون الياء هو النشاط. ومعناه: أن كلاً من العاجز والكيس قد قدر عجزهما وكيسهما وسبق بذلك الكتاب. والحديث يدل على أن الإيمان بالقدر كان معروفاً عند السلف.

٢٢٤ ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وأَحَبُّ إلى الله مِن المؤمنِ الضعيفِ، وفي كُلٍّ خَيرٌ، احْرِصْ على ما يَنْفَعُكَ واستعِنْ بالله ولا تَعْجِزْ، وإن أَصَابَكَ شَيْءٌ فلا تَقُل لَوْ أَنِّي فعلتُ لَكَانَ كَذا وَكَذا، ولَكِن قَدَّرُ الله وما شاءَ فَعَل، فإنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَل الشَّيْطَانِ**».

[رواه أحمد (٢/٣٦٦، ٣٧٠)، ومسلم في القدر (١٦/٢١٥)، وابن ماجه رقم (٧٩، ٤١٦٨)].

ش: «**المؤمن القوي**»: أي في إيمانه، وعقيدته، وأعماله الصالحة، وطاعة مولاه، والصبر على مشاق الجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. وليس معناه القوي في شؤون دنياه كما يفسره من لا علم له بالشريعة. «**وفي كل خير**»: أي القوي والضعيف لاشتراكهما معاً في الإيمان وهو خير أي خير. «**احرص**»: الحرص على الشيء الرغبة فيه. «**واستعن**»: أي اطلب العون على أمورك منه عزّ وجلّ.

ويؤخذ من الحديث رد كل الحوادث والطوارىء إلى الأقدار، وأن المسلم يتعين عليه إذا ما فاته شيء أن يقول ما ذكره الحديث وهو: قَدَّرَ الله وما شَاءَ فعل. وألا ينساق مع وحي الشيطان، فيقول: لو فعلت كذا لكان كذا. فإن ذلك قد يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه.

٢٢٥ ـ وعن أُبَيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الغُلامَ الذِي قَتَلَهُ الخَضِرُ طُبِعَ كَافِراً، ولو عَاشَ لأَرْهَقَ أَبَوَيْهِ طُغْياناً وكُفْراً**».

[رواه مسلم (١٦/٢١١)، وأبو داود (٤٧٠٥) كلاهما في القدر. والترمذي في التفسير (٢٩٤٧)].

ش: «**الخضر**»: سيأتي الكلام عليه وعلى قصته مبسوطة في التفسير إن شاء الله تعالى. «**طبع**»: الطبع هو الختم والمراد به هنا أسبقية كتابته كذلك في الأزل. «**لأرهق**»: أي لأغشاهما وجملهما على الطغيان والكفران.

٢٢٦ ـ وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كنتُ خلفَ

النبي ﷺ يوماً فقال: «**يَا غُلامُ إنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تِجَاهَكَ، إذا سألتَ فاسألِ اللَّهَ، وإذا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ بالله، واعْلَمْ أنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعتْ عَلَى أن يَنْفَعُوكَ بِشيءٍ، لم يَنفَعُوك إلا بشَيءٍ قد كَتبهُ اللَّهُ لَكَ، وإن اجْتَمَعُوا على أن يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ، لم يَضرُّوكَ إلا بشيءٍ، قد كَتَبه اللَّهُ عليك، رُفِعَت الأقلامُ، وجُفَّت الصُّحَفُ**».

[رواه أحمد (١/٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧)، والترمذي في أبواب صفة جهنم (٢٣٣٤) بتهذيبي وحسنه وصححه].

ش: «احفظ الله»: أي راع حدوده، وحفظها يكون بالوقوف عند الأوامر بالامتثال، والنواهي بالاجتناب، فمن فعل ذلك حفظه الله في دينه ودنياه جزاء وفاقاً. **«تجاهك»**: أي أمامك كما في رواية. ومعناه: تجده معك حيثما كنت، فيكون لك ناصراً، وحافظاً، ومؤيداً. **«إذا سألت.. إلخ»**: في هذا حمل المسلم على التعلق بالله تعالى التعلق المطلق، في جميع شؤونه، وذلك هو التوحيد الكامل، والتوكل التام الشامل، وهذا المستوى عزيز، لا يتحقق به إلا الأكابر ممن روّضوا أنفسهم، ودرّبوها السنين الطوال. أما الضعفاء فلهم رخصة في سؤال غير الله مما هو في مقدورهم وتحت طاقتهم. نعم قد يحمل هذا السؤال على ما هو خاص بالله عزّ وجلّ، كسؤال الإيمان مثلاً والتوفيق، ودخول الجنة، وما إلى ذلك مما لا يسأل إلا من الله، ولا يقدر عليه إلا هو سبحانه. **«رفعت الأقلام»**: هو كناية عن تقدم كتابة المقادير كلها، والفراغ منها جملة وتفصيلاً.

٢٢٧ ـ وعن أبي عزة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذَا قَضَى اللَّهُ لِعَبْدٍ أنْ يَمُوتَ بأرضٍ، جَعَلَ إليه حَاجَةً**، أو قال: **بِهَا حَاجَة**».

[رواه أحمد ٣/٤٢٩)، والترمذي في القدر (١٩٧٩) وابن حبان (١٨١٥) بالموارد، والحاكم (١/١٤٢) وحسنه الترمذي وصححه. وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي ونحوه عن مطر بن عُكَامِسَ رواه الترمذي في القدر (١٩٧٨)، والحاكم (١/١٤٢)، وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي].

ش: «إذا قضى»: فيه دليل على أن كل شيء يتعلق بالإنسان حتى موضع موته هو بقضاء الله تعالى قد كتب وسبق به علمه وأنه لا بد وأن تقبض روحه في المحل الذي قدر عليه فيه ولو كان في أقصى وأبعد بقعة من الأرض، فقد يجعل الله إليه حاجة فيذهب لقضائها فتقبض روحه هناك.

القدر والدعاء

٢٢٨ ـ عن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يَرُدُّ القضاءَ إلاَّ الدُّعَاءُ، ولا يَزِيدُ في العُمُرِ إلا البِرُّ»**.

[رواه الترمذي في القدر رقم (١٩٦٩) وحسنه وذلك لشاهد له عن ثوبان. رواه أحمد (٥/٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٢)، وابن ماجه (٩٠/٤٠٢٢)، والطحاوي في «المشكل» (٤/١٦٩)، والحاكم (١/٤٩٣)، وصححه ووافقه الذهبي وكذا حسنه البوصيري].

ش: في الحديث مشروعية الدعاء، وأنه يرد القضاء. وفي هذا كلام طويل الذيل. وخلاصته: أن الدعاء من جملة القدر والقضاء فيرد القضاء بالقضاء. وقوله: **«ولا يزيد في العمر إلا البر»**، معناه: إما البركة فيه بسبب أفعال البر. وإما زيادته المعلقة بالبر في الأزل بحيث لولا ذلك البر لكان العمر قصيراً. والله أعلم.

الهدى والضلال بقدر الله

٢٢٩ ـ عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنّ الله خَلَقَ خَلْقَهُ في ظُلْمَةٍ، فَأَلْقَى عَلَيْهِم مِن نُورِه فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذٰلِكَ النُّورِ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ، فَلِذَلِكَ أَقُولُ: جَفَّ الْقَلَمُ عَلى عِلْمِ اللَّهِ»**.

[رواه أحمد (٢/١٧٦، ١٩٧)، والطيالسي رقم (٥٧)، والترمذي آخر الإيمان (٢٤٥٨)، وابن حبان (١٨١٢) بالموارد، والحاكم (١/٣٠) من طرق. وسنده صحيح وحسنه الترمذي وصححه الحاكم على شرطهما وأقره الذهبي].

ش: والحديث يفيد أن إيمان المؤمنين من آثار نور الله عزّ وجلّ، وأنه تعالى مصدر الأنوار فكل ما يوجد من أنوار حسية، أو معنوية فمن نوره. ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وهو يدل على أن الهداية والضلال كلاهما بقدر الله وقضائه، وأن الأمر على ما سبق من ذلك النور والظلمة، وما كتبه القلم على وفق علم الله عزّ وجلّ.

العمل مع القدر

٢٣٠ ـ وعن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: خرج رسول الله ﷺ وفي يده كتابان فقال: «**أَتَدْرُونَ ما هَذَانِ الكِتَابَانِ؟**»، قلنا: لا يا رسول الله إلا أن تُخْبِرَنا، فقال للذي في يده اليمنى: «**هَذا كِتَابٌ مِن رَبِّ العالمين، فيه أسماءُ أهلِ الجَنَّةِ، وأسماءُ آبائِهم، وقبَائِلِهم، ثم أُجْمِلَ على آخِرِهم، فلا يُزَادُ فِيهِم ولا يُنْقَصُ مِنهم أبداً**»، وقال للذي في شماله: «**هذا كتابٌ من رب العالمين، فيه أسماءُ أهلِ النارِ، وأسماءُ آبائِهم، وقبائِلِهم، ثم أُجْمِلَ على آخِرِهم، فلا يُزادُ فِيهم ولا يُنْقَصُ مِنهم أبداً**». قال أصحابه: ففيمَ العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه؟ فقال: «**سَدِّدُوا وقَارِبُوا، فإنّ صَاحِبَ الجنَّةِ يُخْتَمَ له بعملِ أهلِ الجنةِ وإن عَمِلَ أيَّ عَمَلٍ، وإنّ صَاحِبَ النَّارِ يُخْتَمُ له بِعَمَلِ أهلِ النَّارِ وإن عَمِلَ أيَّ عَمَلٍ**». ثم قال رسول الله ﷺ بيده فنَبَذَهُمَا ثم قال: «**فَرَغَ رَبُّكُم مِن العِبَادِ، فَرِيقٌ في الجنةِ، وفريقٌ في السعِيرِ**».

[رواه أحمد ١٦٧/٢)، والترمذي في القدر (١٩٧٣) من طريقين، وحسنه وصححه والنسائي في «الكبرى» (٤٥٢/٦، ٤٥٣)].

ش: «**وفي يده كتابان**»: هذا مما يجب الإيمان به، والتسليم للشارع ما أراد به، فإن مثل هذا خارج عن مستوى العقول البشرية. فهو من جملة الآيات الإلهية، والمعجزات النبوية. وقد غلط أقوام لم يهتدوا إلى فهم الحديث فأنكروه وحكموا على المتن بالوضع كما فعل الذهبي وقبله ابن حبان رحمهما الله تعالى. والحقيقة الفاصلة هي: إما أن نؤمن به ونكل أمره إلى الله وإلى رسوله ﷺ. وإما أن نحمله على ما قاله ابن العربي الحاتمي

رحمه الله تعالى وأنه من نوع ذاكرة الإنسان التي هي جزء من رأسه، وفيها من المعلومات والمحفوظات ما لو كتب لجاء في عدة مجلدات. ويؤيد هذا ما ظهر الآن من الأشرطة الحاملة لموسوعات من المعارف والعلوم وإما أن نحمله على ما قاله العارف الدباغ قُدِّسَ سره في «الإبريز»: من أن النبي ﷺ كان إذا توجه ببصيرته إلى شيء انطبعت في ذلك الشيء صور معلوماته، إلخ. والله أعلم بمراد رسوله ﷺ.

والحديث يدل على أنه قد فرغ من كل أمر. فكل من أهل الجنة والنار معلومون لله تعالى، مكتوبون في الكتاب الأول، وأن كلاً من الفريقين لا يبدل ما قدر عليه، وإن عمل ما عمل من خير أو شر فلا بد أن يختم عليه بما سبق به عليه الكتاب.

٢٣١ ـ وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: كنا في جنازة ببقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله، وبيده مخصرة، فجعل ينكت بها الأرض ثم قال: ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار، ومقعده من الجنة. فقالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا؟ فقال: «**اعْمَلُوا فكلٌّ ميسَّر لما خلق لَه، أمَّا مَنْ كان من أهلِ السعادة فسيُيَسَّر إلى عَمَلِ السَّعادة، وأمَّا مَنْ كانَ مِن أهلِ الشقاءِ فسَيُيَسَّر إلى عَمَلِ الشَّقاء**»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾.

[رواه أحمد رقم (٦٢١، ١٦٧، ١٦٨، ١١١٠)، والبخاري في القدر، وفي التوحيد (٣٠٥/١٧)، ومسلم في القدر (١٦، ١٩٥، ١٩٦)، وأبو داود رقم (٤٦٩٤)، والترمذي (١٩٦٨) كلاهما في القدر أيضاً، ورواه هذا في التفسير].

ش: «**مخصرة**» بكسر الميم: كالسوط والعصا. «**ينكت**»: أي يضرب. «**أفلا نتكل**»: أي نعتمد على القدر وما كتب علينا وندع العمل. «**اعملوا**»: يعني لا بد من العمل فإنه الذي يصدق ما كتب في الأزل. فالسعيد يهيأ للإيمان والعمل الصالح ويُيَسِّرُهُ الله لما خلق لأجله. والشقي بعكس ذلك.

٢٣٣ ـ وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: جاء سُراقة بنُ مالك بنِ جُعْشُم رضي الله تعالى عنه فقال: يا رسول الله بيِّن لنا دِينَنَا كأنَّا خُلِقْنَا

الآنَ، فَفِيمَ العملُ الآن أفيما جَفَّتْ به الأقلامُ وجَرَتْ به المقادِيرُ؟ أم فيما يُسْتَقْبَلُ؟ قال: «**بَلْ فِيمَا جَفَّتْ به الأقلامُ وجَرَتْ بِهِ المَقادِير**». قال: ففيمَ العملُ؟ قال: «**اعْمَلُوا فكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، وكلُّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ**».

[رواه أحمد (٣/٢٩٢، ٢٩٣)، ومسلم في القدر (١٦/١٩٧، ١٩٨)، وابن حبان (١٨٠٩) بالموارد].

ش: «اعملوا»: هو في الدلالة كسابقه فالعمل على ما جرت به المقادير فأهل الجنة يعملون بعملها وأهل النار كذلك، فالعبرة بالسابقة ثم الختام عليها. وفي الباب أحاديث عن أنس في الصحيحين، وعن عمران بن الحصين كذلك وعن ابن عمر عند أحمد والترمذي بسند صحيح.

الأعمال بالخواتم

٢٣٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الرَّجُلَ ليَعْمَلُ الزمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ ثُم يُخْتَمُ له بِعَمَلِ أهْلِ النَّارِ، وإنَّ الرَّجُلَ ليَعملُ الزَّمَن الطويلَ بعملِ أهلِ النارِ ثم يُخْتَمُ له عَمَلُه بِعملِ أهلِ الجنةِ**».

[رواه مسلم في القدر (١٦/١٩٩) ونحوه عن سهل بن سعد عنده أيضاً (١٦/١٩٩، ٢٠٠)].

ش: «ثم يختم له بعمل أهل النار»: هذا يقع نادراً، فإن الله تعالى ما كان ليضل ويختم بالشقاء على من قطع شوطاً كبيراً من حياته في طاعة الله وعبادته بإخلاص وصدق. وإنما يقع ذلك لمن كان منافقاً ولم يكن صادقاً في إيمانه، أو عمل ما يستحق به ذلك مع سابق القدر. «**ثم يختم...بعمل أهل الجنة**»: هذا يقع كثيراً وذلك لأسبقية رحمة الله غضبه. فإن أكثر الناس يقطعون أشواطاً من حياتهم في اتباع أهوائهم وشهواتهم مع التفريط في حقوق الله وفرائضه، وقد يكون فيهم كافرون وملحدون فيوفقهم الله للإيمان به وطاعته فيموتون على ذلك، ثبتنا الله على ديننا حتى نلقاه.

٢٣٤ ـ وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أرَادَ الله بعبدٍ خيراً استَعْمَلَهُ**»، فقيل: كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: «**يُوَفِّقُه لعملٍ صالحٍ قبلَ الموتِ**».

[رواه أحمد (١٠٦/٣، ١٢٠، ٢٣٠)، والترمذي في القدر (١٩٧٤)، وابن حبان (١٨٢١) بالموارد، وحسنه الترمذي وصححه. وهو عنده صحيح على شرطهما وفي الباب عن عمرو بن الحمق عند أحمد (٢٢٤/٥) بسند صحيح، وعن أبي عنبة عنده أيضاً (٢٠٠/٤)].

ش: «**استعمله**»: في رواية لأبي عنبة «**عسله**» وفيه دليل واضح على أن من وفق لعمل صالح آخر حياته حتى مات عليه كان ذلك علامة على حسن حاله وسعادته، وأن الله تعالى أراد به خيراً. فأحرى إذا كانت حياته كلها موفقاً فيها مع الصدق والإخلاص.

القدر عند الخلق في الرحم

٢٣٥ ـ عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادقُ المصدوق: **إن خَلْقَ أحدِكُم يُجْمَعُ في بَطْنِ أُمِّهِ أربعين يوماً نطفةً ثمَّ يكونُ عَلقَةً مِثلَ ذلك، ثم يكونُ مُضْغَةً مثلَ ذلك، ثم يَبْعَثُ اللَّهُ إليه مَلَكاً بأربعِ كلِماتٍ: رِزْقِهِ، وأجَلِهِ، وعَمَلِهِ، وشَقِيٌّ أو سَعيدٌ، ثُمَّ يُنفَخُ فيهِ الروحُ فوالَّذِي لا إلَه غيرُه، إنَّ أحدكم ليَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ الجنَّةِ حتَّى ما يكونُ بَينه وبينهَا إلا ذراعٌ، فيَسبِقُ عليه الكتابُ، فيعملُ بعملِ أهل النَّار فيدخلُها، وإن أحدَكم ليعملُ بعملِ أهلِ النار حتى ما يكونُ بينه وبينها إلا ذِراعٌ فيَسْبِقُ عليه الكتابُ، فيعملُ بعمل أهل الجنَّةِ فيَدْخُلُها**».

[رواه أحمد (٤١٤/١، ٤٣٠)، والبخاري في بدء الخلق (١١٤/٧)، وفي أحاديث الأنبياء (١٧٨/٧)، وفي القدر (٢٧٧/١٤، ٢٨٨)، وفي التوحيد، ومسلم (١٨٩/١٦)، والترمذي (١٩٦٩) كلاهما في القدر، وأبو داود في السنة رقم (٤٧٠٨)، وابن ماجه في المقدمة].

ش: «**علقة**»: هي دم جامد مثل علقة الماء. «**مضغة**» بضم الميم وهي القطعة اليسيرة من اللحم بقدر ما يمضغ. وفي هذا الحديث بيان لأطوار

خلق الإنسان في الرحم. وهو موافق لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ الآية [المؤمنون]، وفي القرآن غير ذلك. وظاهر الحديث أن نفخ الروح في الجنين يكون بعد أربعة أشهر، وهذا في الغالب. فإن الأطباء يذكرون أنه قد يتحرك الجنين لتسعين يوماً، وذلك ثلاثة أشهر، والله يفعل ما يشاء كما أنه يدل على أن كتابة الملك لشؤون الجنين تكون بعد مضي أربعة أشهر. وحديث حذيفة الغفاري الآتي يدل على أن ذلك يكون في أول الأربعين الثانية. والله أعلم بالواقع ثم يجب أن نعلم أن كتابة الملك لهذه الأشياء في الرحم هي غير الكتابة السابقة في الأزل كما تقدم. بل هذه الكتابة تعد تأكيداً، وإعلاماً لمن شاء الله أن يعلمه من خلقه كملائكته مثلاً. وباقي أطراف الحديث تقدم معناه رقم (٢٣٣).

٢٣٦ ـ وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«وَكَّلَ الله بالرَّحِم مَلَكاً فيقولُ: أيْ ربِّ نُطفةً، أي رب عَلقَةً، أي ربِّ مُضْغَةً، فإذا أرادَ الله أن يقضِي خلقَها قال: أذَكَرٌ أم أنثى؟ أشَقِيٌّ أم سَعِيدٌ؟ فما الرِّزْق؟ فما الأجَل؟ فيكْتُب ذلِك في بطنِ أُمِّهِ»**.

[رواه البخاري (١٤/٢٩٢) ومسلم (١٦/١٩٥) كلاهما في القدر. ورواه البخاري في الحيض وفي كتاب الأنبياء].

ش: «وكل الله بالرحم»: هو وما في الباب يدل على أن للرحم ملكاً خاصاً مكلفاً به، يدبر ما يقع فيه بإذن الله عزّ وجلّ. وهل لكل رحم ملك أم هو ملك واحد؟ لم يأت في ذلك نص، والظاهر التعدد، وأن لكل رحم ملكاً خاصاً به.

٢٣٧ ـ وعن عامر بن واثلة رحمه الله تعالى أنه سمع عبدالله بن مسعود يقول: **«الشَّقِيُّ مَن شَقِيَ في بَطْنِ أُمِّهِ، والسَّعِيدُ مَن وُعِظَ بِغَيْرِهِ»**. فأتى رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له حُذَيفة بن أسيد الغِفاري فحدَّثه بذلك من قول ابن مسعود. فقال له: وكيف يَشْقى رجلٌ بغير عَمَلٍ؟

فقال له الرجل: أتَعْجَبُ من ذلك؟ فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إذا مَرَّ بالنُّطْفَةِ ثِنْتانِ وأرْبَعُونَ ليلةٍ، بَعَثَ الله إليها مَلكاً فصَوَّرَها وخَلَقَ سَمْعَها وبَصَرَها وجِلْدَها ولَحْمَها وعِظَامَها، ثم قال: يا رَب! أذكرٌ أم أُنْثَى؟ فيَقْضِي رَبُّكَ ما شَاءَ، ويَكْتُبُ المَلَك، ثم يقولُ: يا رب! أجَلُه، فيَقْضِي ربُّك مَا شاءَ، ويَكْتُب الملَك، ثم يقولُ: يا رب! رِزْقُه، فيقْضِي ربُّك ما شاء، ويكتُبُ الملَكُ، ثم يَخْرُج الملك بِالصَّحِيفَةِ في يَدِهِ فلا يَزِيدُ على مَا أُمِرَ ولا يَنْقُصُ**».

وفي رواية: سمعت رسول الله ﷺ بِأُذُنَيَّ هَاتَيْنِ يقول: «**إنَّ النُّطْفَةَ تَقَعُ في الرَّحِمِ أربعينَ ليلةً ثُمَّ يَتَسَوَّرُ عليها المَلَكُ فيقولُ: يا رب! ما رِزْقُه؟ ما أجَلُه؟ ما خُلُقه؟ ثم يَجْعَلُه اللَّهُ شَقِيّاً، أو سَعِيداً**».

[رواه مسلم بالروايتين في القدر (١٦/١٩٣، ١٩٤)].

ش: «الشقي» معناه: أن كل واحد قد عرف حاله من شقاوة وسعادة، وهو لا يزال في بطن أمه. **«كيف يشقى»**: كأنه ظن أن الشقاء لا يكون إلا مع العمل الموجب لذلك، ولم يكن يعلم أن الأمر على ما سبق به الكتاب الأول والثاني. **«النطفة»**: هي مَنِي الرجل مع مَنِي المرأة. **«ثنتان وأربعون»**: هذه الرواية تخالف ما سبق عن ابن مسعود وغيره، وجمع بين ذلك بأن للملك ملازمة ومراعاة لحال النطفة وتطوراتها، ففي كل طور منها ينادي: يا رب، هي كذا، هي كذا، فكل وقت يقول فيه ما صارت إليه بأمر الله تعالى، فإذا صارت علقة وذلك عقب الأربعين الأولى يصير للملك علم بأنه جنين، وحينئذ يكتب رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته. ثم يكون له تصرف آخر وهو تصويره، وخلق سمعه وبصره، وجلده وعظمه، وكونه ذكراً أم أنثى، وذلك يكون بعد الأربعين الثالثة، وهي مدة المضغة. ثم يكون للملك فيه تصرف آخر، وهو وقت نفخ الروح وذلك حين تتم له أربعة أشهر في الغالب. وأما قوله: **«بعث الله إليها ملكاً فصورها»** إلخ، فقال العلماء: ليس هو على ظاهره، ولا يصح حمله على ظاهره بل المراد أنه يكتب ذلك ثم يفعله في وقت آخر. لأن التصوير عقب الأربعين الأولى

غير موجود في العادة أصلاً. وإنما يقع في الأربعين الثالثة. هذا ملخص ما ذكره العلماء في الموضوع باختصار، والله تعالى أعلم. **«ثم يخرج الملك بالصحيفة»**: هذا يدل على أن الكتابة من الملك لتلك المقادير تكون في صحيفة خاصة. يحتفظ بها الملك ويضعها حيث أراد الله عزّ وجلّ، وأنه من تلك الصحيفة يتعرف الملائكة على شؤون هذا المكتوب له. وقد جاء عند أبي داود أن الصحيفة معلقة بالعرش.

٢٣٨ ـ وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ نَفْسٍ، وكَتَبَ حَيَاتَهَا، ومَوْتَهَا، وَرِزْقَهَا، وَمَصَائِبَهَا»**.

[رواه أحمد (١/٤٤٠)، والترمذي في القدر رقم (١٩٧٥) بتهذيبي، وهو وإن كان فيه رجل مبهم فإن له شاهداً عن أبي هريرة رواه أحمد (٢/٣٢٧) وسنده صحيح].

ش: والحديث يدل على أن كل نفس مخلوقة لله عزّ وجلّ. وأنه قدر وكتب عليها كل ما هي لاقية في حياتها حتى المصائب والأمراض.. وفي القرآن الكريم: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾.

محاجة آدم وموسى

٢٣٩ ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تَحَاجَّ آدم وموسى عليهما السلام فقال لهُ موسى: أنتَ الذِي أخرجتَ الناسَ مِنَ الجنَّةِ بذَنْبِكَ وأشْقَيْتَهُم. فقال آدم لموسى: أنتَ الذِي اصْطَفَاك الله برسالاته وبِكلامِه، أتَلُومُنِي على أمرٍ كَتَبه الله علـيَّ قبل أنْ يَخْلُقَنِي؟ أوْ قدَّره علـيَّ قبلَ أن يَخْلُقَنِي؟** قال رسول الله ﷺ: **فَحَاجَّ آدمُ موسى»**.

وفي رواية: **«احتجّ آدم وموسى عند ربهما، فحاجّ آدم موسى. قال موسى: أنْتَ آدم الذي خَلقك الله بيدِه، ونَفخَ فيكَ مِن رُوحِه، وأسجدَ لكَ ملائكتَه، وأسْكَنَك في جنَّتِه، ثم أهْبَطْتَ النَّاسَ بخطيئتِك إلى الأرضِ. قال آدم: أنتَ موسى الذي اصْطَفَاك الله برسالته وبكلامِه، وأعطاكَ الألواحَ فيها**

تِبْيَانُ كلِّ شيءٍ، وقرَّبك نَجِيّاً، فِي كَمْ وَجدتَّ الله كَتَبَ التَّوراة قبل أن أُخلَقَ؟ قال موسى: بأربعين عاماً. قال آدم: فهَلْ وجدتَ فيها: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾؟ قال: نعم. قال: أتَلُومُنِي على أن عملتُ عملاً كَتَبه الله عليَّ أن أعمله قبل أن يَخلُقنِي بأربعين سنةً. قال رسول الله ﷺ: فَحَاجَّ آدم موسى عليهما السلام».

[رواه البخاري (٣٠٨/١٤)، ومسلم (٢٠٠/١٦، ٢٠٢)، وأبو داود (٤٧٠١)، والترمذي (١٩٦٦) كلهم في القدر، ورواه البخاري أيضاً في أحاديث الأنبياء وفي التفسير وفي التوحيد].

ش: «تحاج»: المحاجة: المجادلة، وهذه المحاجة قال القاضي عياض: يحتمل أنه على ظاهره وأنهما اجتمعا بأشخاصهما. وقد ثبت في حديث الإسراء أن النبي ﷺ اجتمع بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في السموات، وفي بيت المقدس، وصلى بهم. فلا يبعد أن الله تعالى أحياهما كما جاء في الشهداء. قال: ويحتمل أن ذلك جرى في حياة موسى سأل الله تعالى أن يريه آدم فحاجه. وجزم ابن عبدالبر والقابسي بأن ذلك كان بعد وفاة موسى فالتقيا في البرزخ أول ما مات موسى فالتقت أرواحهما في السماء. وقيل غير ذلك. والتحقيق في هذا والصواب: التسليم والإيمان به لأنه من عالم الغيب، ولم نؤت من ذلك إلا قليلاً. **«أخرجت الناس»**: في رواية عند مالك وغيره: **«أنت الذي أغويت»**. ومعناه: كنت السبب في غواية من غوى منهم. **«وأشقيتهم»**: أي تسببت في شقائهم بنزولهم لهذه الأرض، وحياتهم فيها، بدل بقائهم في الجنة. **«اصطفاك»**: أي اختارك. **«أتلومني»**: اللوم هو العذل والعتاب. **«خلقك الله بيده»**: هذا من أحاديث الصفات، ومذهب السلف في أمثاله الإيمان به مع التفويض ونفي التشبيه. **«وأسكنك في جنته»**: مذهب أهل الحق والسنة والجماعة، أن هذه الجنة التي كان فيها أبونا آدم عليه السلام هي الجنة المعهودة، خلافاً لمن قال: إنها بستان بالهند أو نحو ذلك. **«أفتلومني... قبل أن يخلقني بأربعين... إلخ»**: معناه: أنه كتبه عليه في صحف التوراة وألواحها قبل أن يخلقه بأربعين سنة. قال النووي: ولا يجوز أن يراد به حقيقة القدر، فإن علم الله

وما قدره على عباده، وأراده من خلقه أزلي، لا أول له، ولم يزل سبحانه مريداً لما أراده من خلقه، من طاعة، ومعصية، وخير، وشر. «**فَحاجَّ آدم**»: أي غلبه بالحجة وظهر عليه بها.

٢٤٠ ـ وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ موسى قال: يا رب! أَرِنَا آدمَ الذي أخرَجَنا ونَفْسَه مِن الجنَّة، فأراهُ الله آدمَ. فقال: أنْتَ أبُونا آدمَ؟ فقال له آدم: نعم. قال: أنتَ الذي نَفَخَ الله فيك من رُوحِه وعلَّمك الأسْمَاءَ كُلَّها وأمَرَ الملائِكَةَ فسجدوا لك؟ قال: نعم. قال: فما حَمَلَك على أن أخرَجْتَنَا ونفسَك من الجنَّةِ؟ فقال له آدم: ومَنْ أنتَ؟ قال: أنا موسى. قال: أنْتَ نبيُّ بنِي إسرائيل، الَّذي كلَّمَكَ الله مِنْ وَرَاءِ الحِجَابِ ولم يَجعل بينَك وبينَه رسولاً من خلقِه؟ قال: نعم. قال: أفَمَا وَجَدْتَ أن ذلك كان في كتابِ الله قبل أن أُخلَقَ؟ قال: نعم. قال: فِيمَ تَلُومُنِي في شيء سَبَقَ من الله تعالى فيه القضاءُ قبلِي؟ قال رسول الله ﷺ: فَحَاجَّ آدمُ موسى، فَحَاجَّ آدمُ موسى**».

[رواه أبو داود في القدر رقم (٤٧٠٢) بسند حسن وهو صحيح].

ش: «**أرنا آدم**»: هذا ظاهر في أن موسى هو الذي سأل رؤية آدم عليهما السلام. «**في كتاب الله**»: يعني التوراة كما في الرواية السابقة.

واختلف العلماء في توجيه مُحاجَّة آدم لموسى وظهوره عليه بالحجة مع أنه لا يصح لأحد أن يحتج بالقدر على ما يأتي من مخالفات... وأظهر ما قيل وأصحه: أن لوم موسى لآدم وقع بعد أن تاب الله عليه فلذلك حَسُن أن ينكر على موسى لومه على ما فعل. ونقل هذا الجواب عن مالك رحمه الله تعالى. وقال ابن عبدالبر: إن هذا خاص بآدم عليه السلام.. وقيل: توجهت الحجة لآدم لأن موسى لامه بعد أن مات. واللوم يتوجه على المكلف ما دام في دار التكليف، أما بعد الموت فقد ثبت النهي عن سبّ الأموات، وأن لا يذكروا إلا بخير، وقيل غير ذلك. والله تعالى أعلم.

حكم الأطفال

٢٤١ ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: دُعِيَ رسولُ الله ﷺ إلى جِنازةِ صبي من الأنصارِ، فقلتُ: يا رسول الله! طُوبَى لِهذا عُصْفُور من عَصَافِير الجنَّة لم يَعْمل السُّوءَ، ولم يُدْرِكْه. فقال: **«أَوَ غَيْر ذلك يا عائشةُ؟ إن الله خلَق للجنة أهلاً خَلَقَهُم لها، وهم في أصلابِ آبائهم، وخلَق للنَّار أهلاً خَلقهم لها، وهم في أصلابِ آبائِهم»**.

[رواه أحمد (٦/٤١، ٢٠٨)، ومسلم في القدر (١٦/٢١١، ٢١٢)، وأبو داود (٤٧١٣)، والنسائي (٤/٤٦، ٤٧) في الجنائز، وابن ماجه في المقدمة رقم (٨٢)].

ش: «أو غير ذلك»: هذا محمول على أنه قال ذلك قبل أن يعلمه الله بأنهم في الجنة. وقد أجمع من يعتد به على أن أطفال المؤمنين في الجنة مع آبائهم، وأنهم فرط لآبائهم يشفعون لهم يوم القيامة. فهم دَعَامِيصُ الجنة كما في صحيح مسلم أي صغار أهلها. وأحاديث دخول آبائهم الجنة بسبب رحمتهم إياهم متواترة عن النبي ﷺ.

٢٤٢ ـ وعنها، قالت: قلت: يا رسول الله ذَرَارِي المؤمنين؟ فقال: **«مِن آبائِهم»**. فقلت: يا رسول الله بلا عمل؟ قال: **«اللَّهُ أعلَمُ بما كانوا عَامِلِين»**. قلت: يا رسول الله فذراري المشركين؟ قال: **«مِن آبائِهم»**. فقلت: بلا عملٍ؟ قال: **«اللَّهُ أعلَم بما كانوا عامِلين»**.

[رواه أبو داود في القدر رقم (٤٧١٢) من طريقين أحدهما صحيح].

٢٤٣ ـ وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: سئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين فقال: **«الله إذ خَلَقَهم أعلم بما كانوا عاملين»**.

[رواه البخاري (١٤/٢٩٥)، ومسلم (١٦/٢١١)، وأبو داود (١/٤٧١) في القدر، والنسائي في الجنائز (٤/٤١) ونحوه عن أبي هريرة وفيه: **«عمن يموت منهم وهو صغير»**، يعني أطفال المشركين، رواه الشيخان والنسائي].

ش: «الله أعلم بما كانوا عاملين»: أما بالنسبة لأطفال المؤمنين فقد

قلنا إنهم في الجنة بالإجماع. أما أولاد المشركين ففيهم مذاهب وأقوال: أصحها وهو الذي قاله المحققون أنهم من أهل الجنة. ففي حديث سمرة عند البخاري حينما رأى رسول الله ﷺ خليل الرحمن ﷺ في الجنة وحوله الأطفال، قال الصحابة: يا رسول الله وأولاد المشركين؟ قال: «**وأولاد المشركين**». وقوله: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»: ليس فيه تصريح بأنهم من أهل النار. ومعناه كما قال النووي: الله أعلم بما كانوا يعملون لو بلغوا، ولم يبلغوا، إذ التكليف لا يكون إلا بالبلوغ.

* * *

خاتمة

خلاصة ما ذكر في هذه الأبواب من القدر هو أن له مراتب وأنواعاً:

أولاً: أسبقية علم الله تعالى وإرادته في الأزل بكل ما سيقع من الكائنات وشؤونها.

ثانياً: كتابة ذلك في أم الكتاب، وهو اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف عام.

ثالثاً: انتساخ ذلك في الكتب المنزلة على رسله صلوات الله وسلامه عليهم.

رابعاً: كتابة ذلك أيضاً بالنسبة لبني آدم يوم أن استخرج عزّ وجلّ الذرية من ظهر أبيهم آدم عليه السلام بعد خلقه. وقال: «هؤلاء لهذه ولا أُبالي، وهؤلاء لهذه ولا أُبالي». يعني أهل الجنة وأهل النار. وهذا يأتي في التفسير إن شاء الله تعالى.

خامساً: كتابة شؤون العباد في أرحام الأمهات، من شقاوة وسعادة، ورزق وأجل.

سادساً: تقدير خاص سنوياً في ليلة القدر.. فكل هذا وارد في القرآن والسنة.. والإيمان بكل ذلك مع التسليم فيه لله واجب، وأن كل ما وقع أو

سيقع من خير أو شر، كفراً كان أم إيماناً، طاعة أم معصية، هدى أو ضلالة، محبوباً أم مكروهاً، حسناً أم قبيحاً قد قدره الله عزّ وجلّ وسبق به علمه وإرادته، وأنه ليس للعبد فيه شيء إلا الفعل والكسب الذي يترتب عليه الثواب والعقاب، والله خالق العباد، وخالق أفعالهم، وإرادتهم، واختياراتهم، وفاعليتهم، وما وراء ذلك فهو من أسرار الله تعالى لم نؤمر بالبحث عنه، ولا التعقل والخوض فيه، فالخلق خلقه والملك ملكه. ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون. هذا مذهب أهل السنة والجماعة وسوى ذلك مذاهب للقدرية، والجبرية.

وبهذا تم كتاب القدر، وكان ذلك تحريراً بين الظهرين من يوم الجمعة خامس وعشرين من ذي القعدة عام ١٤١٤هـ، فالحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

عدد ما تقدم من الأحاديث في هذه الكتب: العلم، الاعتصام، الإيمان، والإسلام، القدر

هو مائتان وثلاثة وأربعون حديثاً، أخرج البخاري ومسلم أو أحدهما منها مائة وأربعة وأربعين والباقي وهو تسعة وتسعون من الزوائد الصحيحة عليهما. ويلي هذا: قسم العبادات.